العمل الموجّه الحادي عشر:

تحليل رواية "شجرة الدر" لــ: جرجي زيدان

تعريف الرواية:

الرواية هي فن أدبي نثري طويل يعتمد أساساً على الخيال، حيث تتداخل فيه مجموعة من العناصر المرتبطة ببعضها وفق علاقات محددة، تسير ضمن تسلسل مدروس من الأحداث لوصف تجربة إنسانية ضمن إطار من التشويق والإثارة، تعكسها شخصيات متعددة تعيش في بيئة معينة. بمعنى آخر، هي نسيج من الأحداث والشخصيات التي توثق تجربة إنسانية ذات أبعاد متعددة ومتسلسلة زمنياً ومكانياً.

أما عن عناصر بناء الرواية فهي:

- **موضوع الرواية**: الفكرة المركزية التي تدور حولها الرواية، والتي يتم تصورها بشكل أولي قبل الشروع بكتابتها.
- **الحبكة**: سير الأحداث بصورة تصاعدية نحو الوصول إلى العقدة ثمّ حلّها وانفراجها.
- **الشخصيات**: تعد المحرك الرئيس للأحداث، وتتفاعل فيما بينها فيما يخلق تحرك القصة.
- **الحوار**: الصوت المسموع لأفكار الشخصيات وطريقة تواصلهم مع بعضهم البعض.
- **السرد**: يتم على لسان راو يكون حلقة الوصل بين القارئ والشخصيات داخل الرواية.

من هو جرجي زيدان؟

جرجي زيدان هو مفكر وأديب لبناني (1861-1914)، يعتبر من رواد الرواية التاريخية العربية وأعلام النهضة الأدبية والثقافية في العصر الحديث. وكان له دور بارز في نشر المعرفة التاريخية بأسلوب روائي مشوق بين أوساط القراء العرب. كما أسس مجلة "الهلال" وكان محررها، وله إسهامات فكرية متعددة في مجالات التاريخ، الأدب، واللغة العربية.

يركز جرجي زيدان في رواياته على النوع التاريخي، حيث كتب سلسلة طويلة من الروايات التي تعالج فترات مختلفة من التاريخ الإسلامي والعربي، مثل "المملوك الشارد"،

"عذراء قريش"، "صلاح الدين الأيوبي"، و"الحجاج بن يوسف"،"شجرة الدر"،... تتميز رواياته بدقتها التاريخية ودمجها بين التشويق الفني والوقائع التاريخية، مع إظهار الصراعات السياسية والاجتماعية في تلك الفترات، ما جعلها جسراً لتبسيط التاريخ وإيصال المعرفة بأسلوب مشوق.

لمحة تمهيدية عن رواية "شجرة الدر" لجرجي زيدان:

رواية "شجرة الدر" (1914)، الجزء الثاني عشر من سلسلة "روايات تاريخ الإسلام"، هي عمل تاريخي يمزج وقائع سقوط بغداد أمام التتار عام 656 هـ (1258م) مع صراعات السلطة في مصر الأيوبية، ليبرز انتقال الحكم إلى المماليك.

تدور أحداثها في القرن السابع الهجري، حيث يغزو هولاكو بغداد ويُقتل الخليفة المستعصم بمساعدة خائنين كابن العلقمي، بينما في مصر يقتل طوران شاه آخر الأيوبيين، فتصعد شجرة الدر (جاريته) سلطانة أولى، تواجه الصليبيين والمكائد قبل خلعها.

تحليل البناء السردي لرواية "شجرة الدر" لجرجي زيدان:

رواية "شجرة الدر" تتبع البناء السردي الكلاسيكي التاريخي الذي يدمج ما بين الواقعية والخيال لإضفاء طابع الإثارة والتشويق. تُبنى الرواية على ضمير الغائب، ويستخدم الراوي العليم سرداً خارجياً يعرض الأحداث التاريخية الكبرى مع التفاعل العاطفي للشخصيات.

1- الشخصيات

الشخصيات في الرواية تنقسم إلى تاريخية (حقيقية تعكس وقائع التاريخ) وخيالية (مبتكرة لدفع السرد والتشويق)، مع بناء يركز على الأبعاد النفسية (الصراع الداخلي والانفعالات) والجسمية (الوصف الخارجي)، لتعزيز الدراما والواقعية.

- ✓ **شخصيات تاريخية رئيسة (محركة للصراع السياسي):**
  - **شجرة الدر**: بطلة رئيسة، سلطانة مصر الأولى بعد مقتل طوران شاه، تدير الحرب ضد الصليبيين وتواجه مكائد الخلافة، دورها: رمز الطموح النسائي والقوة في انتقال السلطة من الأيوبيين إلى المماليك.
  - **المستعصم بالله**: خليفة بغداد، ضعيف يُخان من وزيره ابن العلقمي: ويمثل سقوط العباسيين أمام التتار.
  - **هولاكو**: زعيم التتار، غازٍ مدمر، دوره: يُشعل التوتر التاريخي الكبير.

✓ **شخصيات خيالية رئيسة (محركة للحبكة والإثارة):**

- **ركن الدين بيبرس:** بطل إيجابي، مملوك يحب شوكار، ينقذها من بغداد ويهزم التتار، دوره: يربط الخيط الغرامي بالتاريخي، ويمهد لصعود المماليك.
- **شوكار:** جارية مختطفة إلى بغداد، دورها: تُضفي التشويق العاطفي وتعرقل رحلة بيبرس.

✓ **شخصيات ثانوية (سلبية أو مساعدة، تعزز الصراع):**

- **سلافة:** شريرة، قَيِّمَة القصر تحرض على خلع شجرة الدر، تقتلها لاحقاً، دورها: تُولد المكائد والخيانات.
- **سحبان وابن العلقمي:** خونة سياسيون، يُرسلون خطاب الخلع ويساعدون التتار، دورهما: يُبرزان دور الخيانة الداخلية في الهزيمة.
- **طوران شاه وعز الدين أيبك:** انتقاليون، دورهما: حلقات انتقال السلطة.
- هذه الشخصيات تتفاعل لدمج التاريخ بالخيال، حيث تدفع الشخصيات الرئيسية الحبكة، بينما تعمّق الشخصيات الثانوية التوتر الدرامي، مما يجعل السرد أكثر تشويقا.

2- الزمان والمكان

الرواية تستعرض الزمان بشكل دقيق خلال فترة سقوط بغداد على يد التتار عام 656

هـ/1258م، وانتقال السلطة في مصر بعد نهاية حكم الأيوبيين، مع توظيف مكثف للزمن والتواريخ لتعزيز واقعية الحدث.

أما المكان، فيُوصف بدقة وواقعية مثل وصف جزيرة الروضة ونهر النيل، بالإضافة إلى الأجواء التاريخية في القاهرة وبغداد، مع إبطاء سردي في وصف هذه الأماكن لتعميق التفاعل الشعوري وفهم روح العصر.

3- الأحداث والحبكة

- تسير الرواية عبر حلقات متتالية تجمع بين الصراع السياسي والتاريخي (اغتيال طوران شاه، صعود شجرة الدر، الغزو التتري لبغداد، مكائد سلافة) والحبكة الغرامية (رُكن الدين بيبرس وشوكار)، حيث يحاول "زيدان" دمج المصير الشخصي للشخصيات مع الحدث التاريخي الكبير.
- تتميز الرواية باستخدام لغة سردية توازن بين الوصف والسرد التحليلي، مع تدخل السارد أحياناً للتعليق أو التفسير، رغم أن ذلك قد يقلل من ديناميكية السرد لكنه يثري النص بالمعلومات التاريخية.
- ينتهي السرد بنصر بيبرس على التتار وبدء عهد المماليك، مع خاتمة درامية سعيدة تجمع بين انتصار السياسة والانتصار الشخصي.